



فخرية

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

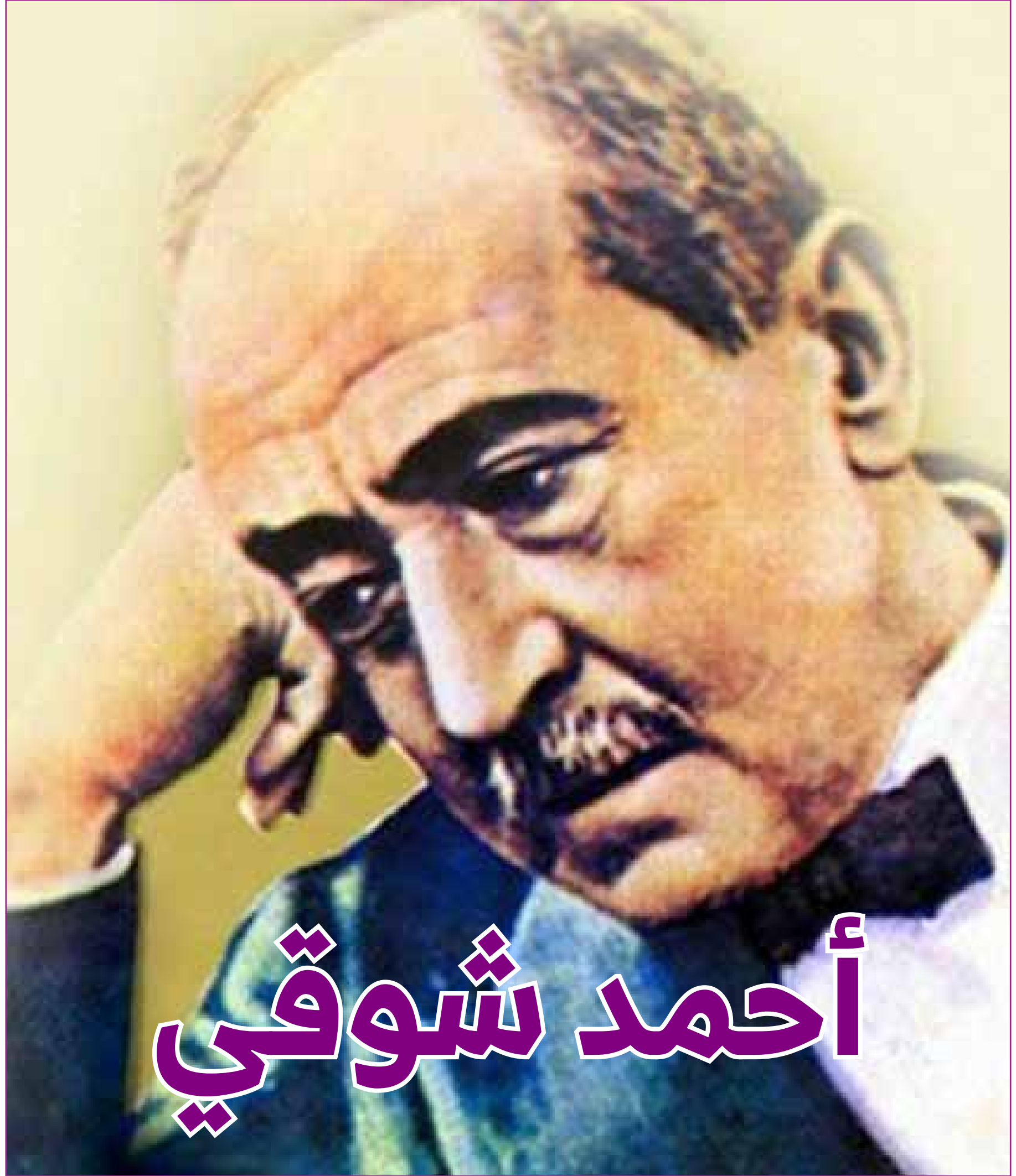
"20 عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

[www.almadasupplements.com](http://www.almadasupplements.com)

العدد (5704) السنة الحادية والعشرون - الأربعاء (10) تموز 2024

منارات  
m a n a r a t

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون



أحمد شوقي

# أم كلثوم وشعر شوقي

د. جابر عصفور

”

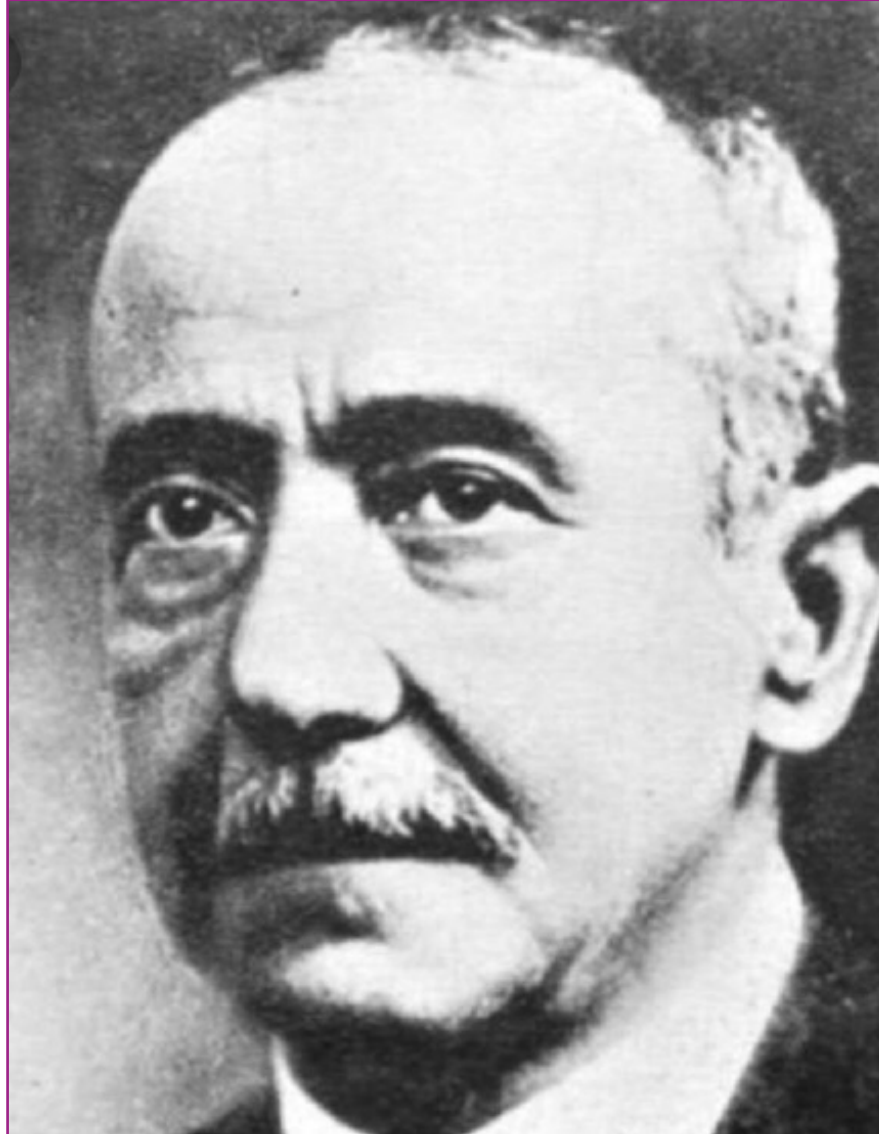
الطريف أنني كنت نافرا من أغاني أم كلثوم وشعر أحمد شوقي في شبابي البعيد. كنت لا أطيق أغاني أم كلثوم التي كنت أراها طويلة، وكم سخرت من الكبار في أسرتي الذين لم يكن يشغلهم شيء في الخميس الأول من كل شهر سوى الإعداد للسهر مع الست في حفلتها الشهرية. وكنت أعجب من هذا الانسجام الذي كنت أراه على وجه الكبار من أفراد أسرتي، وهم يستمعون في صمت وإجلال إلى صوت الست، لا يقطع الصمت إلا آهات النساء أو استحسان الرجال الذي تنطقه عبارة "الله يا ست". وكنت أعجب كيف يتحمل هؤلاء تكرر المقاطع لمرات عديدة.

“

وكنت أرى في ذلك إملالا شديدا ولم يفلح معي ما حاول أن يشرحه لي قريب متسامح من أن الأمر ليس تكرارا اعتباطيا، وإنما هو تولين نغمي بالصوت ومحاولة إحداث تنوع نغمي للمقطع الواحد أو الجملة. ومضيت سادرا في جهالة الشباب، كارها لأم كلثوم التي رأيت فيها - ويا للغباء - نوعا من الرجعية التي ينبغي الثورة عليها. وعندما دخلت الجامعة وقابلت شبابا سبقني إلى الثورة على تقاليد السماع القديمة التي كانت ترمز لها أم كلثوم، عرفت نماذج موسيقية وغنائية حديثة. ولقد انحزت مثل بعض الذين سبقوني في التمرد على أم كلثوم إلى فيروز التي اعتبرناها صوت الحداثة التي أخذنا في الانحياز إليها والتعصب لها. وظلت سنوات على هذا الحال إلى أربعينيات العمر. ولكن تصادف أنني كنت جالسا وحدي بعد منتصف الليل، فمددت أصابعي إلى أزرار المذياع، فخرج صوت أم كلثوم رائقا، يعني أبيات أحمد شوقي:

سلوا قلبي غداة سلا وتابا  
لعل له على الجمال عتابا  
ويُسأل في الحوادث ذو صوابا  
فهل ترك الجمال له صوابا؟  
وكنت إذا سألت القلب يوما  
تولى الدمع عن قلبي الجوابا  
ولي بين الضلوع دم ولحم  
هما الواهي الذي تكل الشبابا  
تسرب في الدموع فقلت ولي  
وصفق في القلوب فقلت: تابا  
ولو خلقت قلوب من حديد  
لما حملت كما حمل العذابا  
ولا ينبك عن خلق اللبالي  
كمن فقد الأحبة والصحابا

والأبيات جزء من قصيدة طويلة. وأجمل ما فيها هي هذه المقدمة الذاتية المستقلة بنفسها، والتي تلت الانتباه إلى حضورها الخاص في غناء أم كلثوم. وأول ما لفت انتباهي فيها خلال صوت أم كلثوم هو الإيقاع المتدفق لبحر "الوافر" بتنويغاته النغمية التي تؤديها الزحافات



والعلل. ويتضافر ذلك مع المفارقة التي يحملها البيتان الأولان، فمن الذي يسأل القلب الذي ينسى الجمال عن الجمال نفسه، وهو شيء غير قابل للنسيان. ومن الذي يطلب الرأي الصواب من العاشق الذي أطار العشق بعقله، فاختلط عليه الأمر، وأصبح عاجزا عن تبيين الخطأ من الصواب. وكلا البيتين ينطويان على صيغة السؤال التعجبي الذي يحمل في طياته الإجابة التي تصل بين البيتين وصل التماثل الدلالي الذي يدني طرفيه إلى حال من الاتساع. ولذلك يأتي البيت الثالث بما يكمل معنى المفارقة في سياق المفارقة المبنية في صيغة سؤال إجابته متضمنة فيه، وكاشفة عن امتداد أو دلالة المفارقة التي يجتمها بنوع من الانتقال إلى القلب، في سياق يدفعنا إلى توقع الجواب أثناء فعل السؤال وصيغته. والانتقال إلى سؤال القلب استهلال للحديث عنه في ذاته، فهو مصدر الحب وسببه وضحيتته في آن، ولذلك فهو هذا الكيان الرقيق الواهن من لحم ودم، وهو المبتلى بالحب الذي يفقده عافية الشباب. وهو يذوب في دمع العاشق رقة وهشاشة. وترتكب ضرباته كأنها تنذبذب بين ما يبعث على الحياة ويسلبها في الوقت نفسه. والتضاد الذي ينبني به البيت هو تهديد للبيت قبل الأخير الذي هو كناية بلاغية عن ثقل وطأة الحب على القلب الذي يحمل من أعباء الحب ما يبدو أكثر ثقلا وإرهاقا من حمل الحديد. وهي كناية تقود مباشرة إلى صياغة البيت الأخير في قالب الحكمة المتكررة في شعر شوقي إلى الدرجة التي دفعتني إلى وصفه بأنه شعر يصدر عن شاعر حكيم بالمعنى الإيجابي لهذا الوصف. وصعب أن ينسب القارئ التنعيم في الأبيات، والتوافقات الصوتية التي تراها في الجناس الصوتي ما بين (سلا) و(سلوا)، حيث يتوافق صوتيا معنى السؤال والنسيان (بالسلو)

في موازاة التوازي الصوتي ما بين كلمتي "التصريح" أعني (تابا) و(عتابا)، وأضف إلى التلاعب بمبدلوات الدال (صوابا) وتكراره، على نحو يتناغم مع تجاوب (سألت) و(تولى.. الجواب). وتدعم الكناية عن القلب بما يقضي إلى استعارة مكنية في الإشارة إليه والحديث التخيلي عنه الذي يكتمل بكناية أخرى تتحول إلى استعارة. والحق أن هذا التجانس البلاغي في مجازيته، يتناظر والتجانس الصوتي لأحرف الكلمات في نغميته، وذلك على نحو يبرزه تدافع الإيقاع الوزني للبحر العروضي، والبراعة في توزيع أحرف المد واللين في موازاة الأحرف الصائتة بما يبرز الخاصية النغمية أو الغنائية على حد سواء.

الطبيعة والفنون  
لا أظن أنني حلت هذا المقطع الشعري على هذا النحو، وأم كلثوم تقوم بغنائه، ولكنني أذكر أنني شعرت شعورا مختلفا بكل من أم كلثوم وأحمد شوقي. أما أم كلثوم فقد بدأت أشعر شعورا مختلفا بها وبطبقات صوتها، وأن في هذا الصوت من الجوانب العبقريّة الإعجازية التي ينبغي أن أتعرف عليها في نضج وتامل، بعيدا عن الحماسة الغشيمة للشباب الذي كنت واحدا منه، بحكم قلة الخبرة الجمالية والنقدية في آن. لم يدفعني ذلك إلى التخلي عن إعجابي بصوت فيروز وأدائها الصوتي، وإنما كان ما تكشف لي على نحو غامض بداية نضج نقدي وجمالي في آن. ولذلك كان لا بد لي إدراك معنى التعدد والتنوع في حال حضور الجمال والجميل. فهدير البحر في الليالي المقمرة، والسكون يلف كل شيء، له جماله الذي لا يتناقض مع جمال الغابة أو مشهد العاصفة، فالجمال متعدد ومتنوع. وما يصدق على الطبيعة يصدق على الفنون، ومنها اقتران الشعر والغناء في مبنى ونسق

واحد، ولذا فالحسان من النساء كلهن جميلات. لكن كل مليحة بمذاق كما يقول شوقي، وهو يصف أنواع البلح الذي ينقل النخيل وتعدد ألوانه وتتنوع أشكاله، فيكون لكل نوع جماله الخاص في اختلاف ألوانه ومذاقه، فيتأكد التنوع والتعدد في المذاق والهيئة، فيغدو جمال البلح شبيها بجمال النساء، كل مليحة بمذاق. هكذا بدأت في إدراك أن جمال الأصوات في الغناء يقوم على التعدد والتنوع في جوهر حضوره، وأن تمسكي بجمال صوت فيروز لا يمنع إدراكي الجديد لجمال صوت أم كلثوم الذي لم أدركه على هذا النحو من العمق من قبل. وهو عمق أخذ يتأصل في نفسي مع سماع وتكرار سماع رباعيات الخيام التي قدمها لها أحمد رامي في أجمل ترجمة أتخيلها للرباعيات التي ترجمها عشرات الشعراء العرب قبله وبعده، لكن يظل لترجمته جمالها الفريد الذي يضعها في الأدب العربي موضع ترجمة فيترز جيرالد للرباعيات نفسها في تاريخ الشعر الإنجليزي. وقد ظل إعجابي بأم كلثوم وما غنّته لأحمد شوقي يتزايد منذ ذلك اليوم الذي لأزال أنكره في السبعينيات من القرن الماضي، وكنت قد فرغت من أطروحتي لدرجة الماجستير سنة ١٩٦٩ وأطروحتي للدكتوراه سنة ١٩٧٢.

مشكلة العمق والابتكار  
الطريف أن أطروحتي للماجستير كانت عن شعراء الإحياء من أقران أحمد شوقي وأساتذته، فقد درست الصورة الشعرية في كتاباتهم الشعرية، وكنت سلبيا في موقفي النقدي من شعر شوقي وأقرانه مثل حافظ إبراهيم والرسافي والزهاوي، وأساتذته من أمثال محمود سامي البارودي وإسماعيل صبري. وكنت واقعا تحت تأثير الذوق النقدي الذي ظل متوارثا من المدرسة الرومانسية في الأدب ونظرية التعبير في النقد الأدبي. كان شوقي ضيف يسهب في الحديث عن تأثر أحمد شوقي بالقدماء، وكان تلميذه وأسنادي عبدالمحسن طه بدر يتحدث عن غيرية شوقي بوصفها نقيضة جمالية، ولذلك تعللت بأن قصائد شوقي لا تتكشف عن ذات متفردة تسعى إلى التعبير عن وجدانها بالكشف عن أخص وأدق مشاعرها ووجدانها الخالص، وأن ضمير المخاطب الفرد والجمع يغلب على قصائده، فنراه يقول:

إلام الخلف بينكم إلا ما

وهذي الضجة الكبرى علما؟

أو يبدا القصيدة بفعل الأمر:

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا

مشت على الرسم أحداث وأزمان

ولم يكن شوقي يقول مثل علي محمود طه:

أنا من ضيع في الأوهام عمره

نسي التاريخ أو أنسي ذكره

غير يوم لم يعد يذكر غير

يوم أن قابلته أول مرة

ولم يكن الشاعر عند أساتذتي إلا الشاعر الذي يتحدث عن نفسه وعالمه الداخلي، ويعبر عن وجدانه الخاص، وكان ذلك ما تعلمه أساتذتي من مدرسة "الديوان" التي جمعت بين عباس العقاد الشاعر وإبراهيم المازني وعبد الرحمن شكري الذي صاغ شعار نظرية التعبير في أحد أبياته:

ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدان

ومن هذا المنطلق، كتب أسنادي عبد العزيز الأهواني كتابه عن الشاعر القديم ابن سناء الملك تحت عنوان "مشكلة العمق والابتكار" وكان "العمق" بتحقيق في الشعر، من منظور الأهواني، عندما يتعد الشاعر عن التعبير عن وجدانه الفردي فلا يعيش واقعه المتعين، بل يعيش في دواوين السابقين عليه من أسلافه الذين يرى واقعه هو باعينهم هم. وقام عبد العزيز الأهواني بتطبيق نظرية التعبير على شعر ابن سناء الملك فوجد أنها لم تفلح. ولذلك قرر أن يدرس شعر ابن سناء الملك حسب ما راه الشاعر القديم ابتكارا في الشعر. وكان ذلك باتباع القدماء والإضافة إليهم والتفوق عليهم، لكن من خلال تقاليدهم الشعرية. وكانت النتيجة أن تحول منهج عبد العزيز الأهواني التطبيقي في درس ابن سناء الملك إلى نوع من قص الأثر، أو دراسة الطرائق التي تكونت بها أبيات ابن سناء الملك بمرز شعر القدماء أو بإعادة صياغته بالإضافة والنقصان وتغيير الاتجاه. وكان

وأعجبته الروح الدينية التي تتخللها، وتنقل الخاص فيها إلى العام. وكالعادة، حذفت الأبيات غير المناسبة من وجهة نظرها، واستبدلت كلمات بكلمات، ابتداء من مطلع الذي كان:

إلى عَرَقاتِ الله يا ابنِ مُحَمَّد  
عَلَيْكَ سَلَامٌ اللهُ في عَرَقاتِ  
فأصبح:

إلى عَرَقاتِ الله يا خَيْرَ زائرٍ  
عَلَيْكَ سَلَامٌ اللهُ في عَرَقاتِ

وهو تغيير موفق، ينقل القصيدة من خطاب الخديو عباس حلمي الثاني إلى كل من يقوم بالحج، حيث يعكس معنى السعي على الساعي، ويستمد الحاج من شرف المقصد ما يضيف عليه هو الشرف ومعنى الخيرية التي يفضل بها الحاج عن غيره الذي لم ينل شرف المقصد. والقصيدة طويلة في الشوقيات، قد تزيد على ستين بيتاً فيما أظن، وإذا لم تخذلي الذاكرة، غنت منها أم كلثوم خمسة وعشرين بيتاً. ومن أجمل أبياتها تلك التي تقول لخير زائر:

إذا زرتَ البيتَ قبرِ مُحَمَّدٍ  
وَقَبَلتَ مَتَوَى الأَعْظَمِ العَطَراتِ  
وفاضتَ معَ الدَمعِ العُيونَ مَهابةً  
لأحمدَ بينَ السَترِ والحِجراتِ  
وأشرقَ نورَ تحتِ كلِّ ثنيةٍ  
وَضاعَ أريجَ تحتِ كلِّ حِصاةٍ  
فقلْ لِرَسُولِ اللهِ يا خَيْرَ مُرْسَلٍ  
أَبُوكَ ما تُدرِي مِنَ الحِسرَاتِ  
شِعوبُكَ في شَرقِ البِلادِ وَغَربِها  
كَأصحابِ كَهفٍ في عَميقِ سُبُباتِ  
بأيمانِهِمُ نوراً نَكرَ وَبِئسَ  
فَما بِاللِهمِ في حالكِ الظُّلماتِ  
وَذَلِكَ ماضِي بَجدِهِمُ وَفَخارِهِمُ  
فَما ضَرَبَهُمُ لَو يَعْمَلُونَ لَأَتِ  
وَهَذَا زَمانُ أرضِهِ وَسَماوِهِ  
مَجالَ لِمَقَدامِ كَبيرِ حِياةٍ

ومن الأغاني التي لها حكاية خاصة، القصيدة التي كتبها أحمد شوقي في أم كلثوم نفسها، إعجاباً بها وعرف من كتاب نعمات فؤاد عن أم كلثوم، أن أحمد شوقي مر بنفسه على أم كلثوم في فيلته التي كانت تطل على نيل الزمالك، وقدم لها مطروفا مغلفاً به هذه القصيدة التي سعدت بها أم كلثوم بعد أن قرأتها. لكن من الغريب أنها لم تغنّها في حياته، فقد مات أحمد شوقي في أكتوبر 1932، وظلت أم كلثوم محتفظة بالقصيدة التي مطلعها:

سلوا كؤوسَ الطلا هل لاسمتُ فاهها  
واستخبروا الراح هل مسّتُ ثنابها

والطريف حقاً أن أم كلثوم لم تغن لأحمد شوقي شعراً في حياته، وكل ما غنّته له جاء بعد وفاته بسنين عديدة. لكن يبقى أنها غنت لأمر الشعراء الذي ما كان يمكن لها أن تتجاهله، ولا تغني له مهما كانت الأسباب. ولذلك كان من المحتم أن يلتقي شعر أمير الشعراء مع صوت سيدة الغناء العربي، ومن أحيان رياض السنباطي الذي كان أفضل من يقوم بتلحين روائع الشعر العمودي القديم إلى أن توفاه الله سنة 1981. مؤكداً أن أم كلثوم غنت لشوقي قصائد عديدة. لكن لا يسطع منها في ذاكرتي، إلا ما يدور حول المعاني الدينية الرفيعة، والطبيعة التي يمتزج فيها جمال الطبيعة بالتاريخ، وليس هناك أدل على ذلك من قصيدة شوقي عن النيل التي مطلعها:

من أي عهد في القرى تتدفق  
وبأي كف في المداين تغدق

ومن السماء نزلت أم فُجرت  
من عليا الجنان جدا ولا تترقق

والمطلع نفسه يحمل دلالات دينية، تكشف عن خاصية أساسية في شعر شوقي، وهي خاصية مرتبطة برؤيته للعالم، وهي رؤية تجعل من الطبيعة جمالها المعجز مجلى من مجالي الصانع المعجز، الخالق المبدع لكل الأكوان، ولا أوضح من هذا البعد في شعر شوقي الذي يرشدنا إلى أحد مفاتيح عالمه في قوله:

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري  
حتى أريك عجيب صنع الباري

عن مجلة العربي الكويتية



جماليات التكرار في الشعر القديم. وحسبها بالمعنى الإيجابي على تحليلها لقصيدة أبي ذؤيب الهذلي التي مطلعها:

أمن المُنونَ ورَبِيها تَنوَجُجُ  
والدَهرَ لَيسَ مَبعُتَبَ مَن يَجزُعُ

ولم يفتني، بالطبع، أنها لم تتبع خطى نظرية التعبير بمعناها الساذج. وأظن أن هذه القراءة لسهول القلماوي وازت معرفتي بما كتبه أدونيس عن الشعر القديم، ثم ما كتبه مصطفى ناصف، رحمه الله، فلم يدل من التقدير ما يستحقه وما هو جدير به، هذا الناقد الكبير الذي دفعني إلى تأسيس قطيعة معرفية مع كل الهجوم الرومانسي التعبيري على شعر أحمد شوقي الذي أخذت أقرأه بعين جديدة. وكان استماعي إلى أم كلثوم تغنيته بداية ذلك، وبداية تغيير موقفي الجمالي النقدي منها ومنه.

وهكذا قادنتني أغنية "سلوا قلبي" إلى بقية قصائد شوقي التي غنّتها له أم كلثوم. وقد غنت له إحدى عشرة قصيدة، موجود حصر بها في كتاب "أم كلثوم" من إعداد الدكتورة إيزيس فتح الله والمرحوم الأستاذ محمود كامل رحمه الله، فهو أعلم من قابلت في الخبرة بالموسيقى الشريقية والغناء. ومن بين القصائد التي غنّتها أم كلثوم لأحمد شوقي قصائد لها نكريات معرفية خاصة بها، ومنها القصيدة التي مطلعها:

إلى عَرَقاتِ الله يا خَيْرَ زائرٍ  
عَلَيْكَ سَلَامٌ اللهُ في عَرَقاتِ

وسبب كتابة شوقي لهذه القصيدة طريف، ذكره ابنه حسين شوقي في كتابه "أبي شوقي" ووجه الطرافة أن الخديوي عباس حلمي الثاني قرر أن يذهب إلى الحج مصطحباً معه أسرته. وكان من الطبيعي أن يطلب من شاعره وصديقه أحمد شوقي الذهاب معه، وداعبه قائلاً: إنه سيركب حصاناً مطهما هدية منه إليه. ولم يملك شوقي الرفض، فصحب الموكب إلى صحراء العباسية، ومن هناك قرأ تاركا الموكب، قبل أن ينتبه الخديو عباس حلمي الثاني، وعاد شوقي إلى القاهرة، حيث كتب هذه القصيدة التي أرسلها معذراً إلى الخديو. ومن الواضح أن أم كلثوم المتدوقة المتميزة للشعر قرأت القصيدة

وأذكر أن أستاذي شكري عياد هاجمني أثناء مناقشة أطروحة الماجستير، علنيا بالطبع، واتهمني بالدوجماتية وأني بنيت الأطروحة على نتيجة محددة سلفاً، وأن ما قمت به في الأطروحة هو التديل على الرأي المسبق، وليس البحث الموضوعي المحايد دون نتائج مسبقة. وبالطبع أغضبني رأي أستاذي الذي رددت عليه وقت المناقشة بما بدا لي مقنعاً. ولكن خفف غضبي أنه امتدح ما بذلته من جهد شاق وواقف على ذلك المناقش الثاني أستاذي المرحوم عبد الحميد يونس، ومعهما أستاذتي المشرفة سهر القلماوي التي كانت تنزلني منزلة أحد أبنائها. وكانت النتيجة أن حصلت على أعلى تقدير على الأطروحة.

وانقلاب على نظرية التعبير وتعاقبت الأعوام منذ 1969.. وبدأت تغزو وعيي النظريات الموضوعية في الفن، وأخذت أسمع مراراً وتكراراً بجملة ت. إس. إليوت الشهيرة: الفن ليس تعبيراً عن الشخصية وإنما هو فرار من الشخصية. وبدأت أعرف قيمة ما أسماه رشاد رشدي "المعادل الموضوعي" وكيف أن العمل الأدبي الحق هو الذي يصوغ معادلاً موضوعياً لما في داخل الشاعر. وشيئاً فشيئاً، بدأت أنقلب على نظرية التعبير. في البداية، أعجبني محاولات تطورها عند أمثال جون ديوي في كتابه "الفن خبرة". وقد قرأته مترجماً، ولكنني انتهيت إلى رفض نظرية التعبير مع ما كتبه إرنست كاسيرر في كتابه "مقال عن الإنسان". وزادت نظرية التعبير تضاملاً في القيمة عندي إلى أن انتهيت إلى رفضها الكامل. وعندما ذهبت إلى الولايات المتحدة سنة 1977 تعرفت على البنوية اللغوية والبنوية التوليدية، فضلاً عن نظريات التناص. وتغيرت نظرتي إلى علاقة اللاحق بالسابق، ومن ثم الإيمان بأن كل كتابة لاحقة قائمة على كتابة سابقة، واتخذ معنى "هل غادر الشعراء من متردم؟" دلالات جديدة، لم أكن أعرفها من قبل.

هكذا، وجدت نوقى الشعري يتغير في موازاة نوقى الأدبي. وأبدت إعجاباً شديداً لأستاذتي سهر القلماوي بمقالاتها التي أخذت تنشرها في مجلة "الكاتب" عن

الإطار المرجعي في ذلك كله أن الشعراء المتأخرين عاشوا في دوامين القدماء أكثر مما عاشوا في عصورهم، وأنهم كانوا ينظرون بأعين القدماء إلى واقعهم، فلا يرونه حقاً، ومن ثم لم يكونوا معبرين عن ذواتهم ولا عن وجداناتهم الفردية، ولا حتى عن عصرهم. وحتى عندما جاء محمد مندور لكي يقوم بتطوير نظرية التعبير، فإنه ظل دائراً في حدودها. وكان من بين ما فعله على سبيل التطوير إضافة الوجدان الجمعي إلى الوجدان الفردي. وكانت النتيجة أن أصبح الوجدان في الشعر وجدانين، بدل تغيير النظرة إلى الوجدان جذرياً.

وأذكر أن أستاذي عبدالعزيز الأهواني دلني في كتابه على مرجع بالغ الأهمية في فلسفة الفن. ومن المؤكد أن هذا المرجع كان المرجع الأصلي الذي اعتمد عليه أغلب أستاذتي. وقد تولى أستاذي عبد الحميد يونس تلخيص هذا المرجع، وأعاد صياغته في كتابه عن الأسس الفنية للنقد الأدبي. أعني كتاب روبين كولنجوود (الذي لم يكن قد ترجم إلى العربية بعد) "مبادئ الفن". وكان الكتاب - المرجع يقوم على التمييز بين الفن الزائف والفن الحق. أما الفن الزائف فيمكن أن يختصره مفهوم الصنعة، أو مفهوم التسلية، أو مفهوم التعليم. أما الفن الحق فهو التعبير عن الوجدان، فالفن الحق تعبير، وما عدا ذلك صنعة في حال السير على طرق القدماء، وكما في حالة ابن سناء الملك من منظور الأهواني، أو تعليم أو تسلية وترفيه كما في حالة الروايات السابقة على رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل التي كانت هي التعبير الفردي عن مشاعر صاحبها، كما رأى أستاذي الثاني عبد المحسن طه بدر، وأنا كنت تلميذاً نجيباً لكل من عبد العزيز الأهواني وعبد المحسن بدر، وأضف إليهما شوقي صيف ومحمد مندور وعبد الحميد يونس، وقبلهم العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري وطه حسين في مصر، وميخائيل نعيمة وجبران في المهجر، وكل شعراء الرومانسية العربية الذين لم يكن جيلي سوى الامتداد الطبيعي لهم في النظر إلى الشعر بخاصة والأدب بعامة. وكانت النتيجة أنني كتبت أطروحة الماجستير من هذا المنظور التعبيري، ومتأثراً كل التأثر بكتاب عبدالعزيز الأهواني. وكانت النتيجة أن قضيت أربع سنوات أقص أثر الصور الشعرية التراثية في شعر أحمد شوقي وأقرانه من شعراء عصره الذين أطلق عليهم أستاذتي شعراء "الإحياء" و"البعث". وكنتنا الكلمتين تعنيان إحياء الشعر وبعثه من رماد الماضي إلى حضور العصر الحاضر. وكما كان فرحي غامراً عندما كنت أصل إلى نتائج لم يعرفها أستاذتي، فعلى سبيل المثال ذهب طه حسين إلى أن قصيدة أحمد شوقي التي مطلعها:

الله أكبر كم في الفتح من عجب  
يا خالد الترك جدد خالد العرب

وانتهى طه حسين وتابعه شوقي صيف إلى أن القصيدة الشوقية كانت متأثرة بقصيدة أبي تمام في انتصار عمورية:

السيف أصدق أنباء من الكتب  
في حده الحد بين الجد واللعب

ولكني اكتشفت أن قصيدة شوقي لم تكن تراعي قصيدة نصر عمورية لأي تمام فحسب، وإنما كانت تنظر إلى قصيدة أخرى للممتني من الوزن نفسه والقافية ذاتها. أما المفاجأة السارة لي فكانت أن مطلع شوقي:

الله أكبر كم في الفتح من عجب  
يا خالد الترك جدد خالد العرب

كان إعادة صياغة لمطلع قصيدة لابن النبيه الشاعر المصري، مطلعها:

الله أكبر ليس الحسن في العرب  
كم تحت لمة ذا التركي من عجب

وما فعله الوعي الشعري لشوقي أو حتى اللاوعي، هو أنه نقل مطلع ابن النبيه من النسب إلى المديح. وانتهيت من التحليل التفصيلي إلى نتيجة لأزال أراها صحيحة، وهي أن شعر الإحياء بحرصه على التقليد هو شعر ذاكرة، وشعر الذاكرة في عملية الإبداع يخضع لتأثير الوزن الواحد والقافية الواحدة، فما إن يختار شاعر مثل أحمد شوقي وزن "البيسط" عروضياً والقافية المنتهية بحرف الباء، حتى تتداعى على ذهنه شعورياً أو لاشعورياً، كل القصائد التي تخزنها ذاكرته من الوزن نفسه والقافية ذاتها، فتكون النتيجة قصيدة أشبه بالمشيكة التي تكونت من معادن عديدة، صهرتها نار الذاكرة في سبيكة فيها من العناصر ما يدل على أصلها للفاخص الخبير. وكنت أتصور نفسي ذلك الفاخص الخبير في ذلك الزمن البعيد، ضمن حماسة الشباب وساذجته.

# الله.. قصة قصيدة مجهولة لـ "شوقي"

إبراهيم عبدالعزيز



ليلتها كان حفل زفاف ابن أمير الشعراء، وجاءت أم كلثوم وقدم لها شوقي كأساً من الخمر، فردته أم كلثوم بحزم وانفعال، قال شوقي في دهشة: هل هذا معقول.. هل توجد فنانة لا تشرب؟.. قالت أم كلثوم: أنا. وحمل شوقي رد أم كلثوم وترك حفل زفاف ابنه وخلا إلى نفسه وولدت قصيدة "سلوا الله" وقصيدته "نجد وأيامنا هائلة" التي نعرضها بشوخى، كما غنت من روائعه الخالدة همزيته النبوية "ولد الهدى"، و"نهج البردة"، و"إلى عرفات الله"، و"سلوا قلبي"، وغيرها من القصائد التي خلدتها أم كلثوم بصوتها لأمير الشعراء، هذا فضلاً عن قصائد مجهولة لشوقي لم يضمها ديوانه كقصيدته عن "الله" وقصيدته "نجد وأيامنا هائلة" التي نعرضها بخطه منذ اكتشافها لأول مرة قبل "٨٤" عاماً.. فهل هناك تناقض بين سلوك شوقي وموقفه من النظرة الدينية؟.. يجيبنا الباحث د. السيد فهمى الشناوى أن شوقي في شبابه كان يتأسى بالشاعر أبو نواس حتى إنه سمي داره "كرمة ابن هاني"، وكان له في ذلك عذر الشباب والفرغ ونشأته في قصر العزيز-الخدوي- وزواجه من ثرية، ومخالطته للأثرياء، وكل هذا يفسد الناس ويحولهم إلى سكارى ومنحلين، ولكن مع شوقي ماذا حدث؟ يقول شوقي نفسه معبراً عن حاله شعراً:

كان يمر على بعضهم ظهراً وهو في طريقه للمنزل على يتمكن من أخذ من يأكل معه، وإذا جلس في محل جروبي أو لبيتون وجاء أحد أصدقائه كان يجعله يطلب ما يريد. ورغم العيشة الرغدة التي كان يعيشها شوقي، فلم يكن أبداً ينسى يوم النهاية، حتى إن سكرتيره فوجئ به ذات يوم يسأله في حضور الموسيقار عبد الوهاب: إلى كم قبر ينقسم منزلنا هذا؟ - ولم يدع لسكرتيره فرصة ليبعد عن هذا الحديث، حتى وجد أن مساحة قصره تكفى لبناء خمسمائة قبر، وقال: "انظر إلى الإنسان ما أكثر طمعه في الحياة". وكان شوقي حريصاً في أيامه الأخيرة أن يقرأ له سكرتيره القرآن الكريم بصوت مرتفع، وأن يقرأ له بعض كتب التفسير وبعض كتب الإمام الغزالي وسيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وحينما وصل إلى قصة وفاته بكى، ومن بكائه بكى سكرتيره أيضاً، وكان شوقي حريصاً على أن يؤكد لسكرتيره: "لقد حاسبت نفسي، وأحمد الله على أن جعلني ذاكرة ديني ووطني". ولم يكن ما تركه شوقي من تراث مجرد شعر قام بتنسيق جملة تنسيقاً موسيقياً، ولكن كان له إلهام - كما يصفه كامل الشناوى معللاً ذلك قائلاً: "الشاعر الملمح يعتقد أن انفعالاته الذهنية والنفسية إنما هي وحى من قوة ذات قداسة، وليس من حقه أن يتصرف في التعبير عن هذا الوحي، فيضع كلمة غير الكلمة ولو كانت الكلمتان متشابهتين، بل يجب عليه أن يقول الكلمة نفسها، ولو كلفه ذلك أن يعانى من الألم والإرهاق والعذاب، ما يفوق طاقته. ويضيف الشناوى - كشاهد عيان على حالة شوقي وهو

صورة إنسانية من قريب، من خلال ملازمته له في بيته وخارجيه، في كتابه الوثيقة "أثنا عشر عاماً في صحبة أمير الشعراء أحمد شوقي"، حيث يذكر أنه عقب وفاة والده قال له شوقي: اعن بوالدتك، ولا تهمل لها شأنًا، وسلها دائماً عن طلباتها، لأنه ليس للإنسان في الدنيا أخلص من والديه، وأكثرهما حناناً الوالدة - ثم قال - إنى شعرت بصدمة عنيفة أثرت في أعصابي لأن عند مفارقتي الوطن سنة ١٩١٥ وبعدي عن والدتي، فقد تركتها هنا في مصر لرغبتها، ولكني لم أنسها يوماً واحداً. وحينما نعتت إليه أمه وهو لا يزال في غربته وصف ما حدث له "فوقعت على المقعد هامداً محبوس الريق، ممسوك الدمع، ولم أبك إلا بعد ساعات"، ويحكى سكرتيره موقفاً عجباً عندما مرض أبوه وكان نفسه يأكل برتقال بلدى، فصمم أحمد شوقي أن يخرج معه بحجة التريض للحصول على طلب والده، وظل يبحث معه في شوارع القاهرة حتى الواحدة صباحاً، حتى وجدا البرتقال. وكانت لشوقي أخت واحدة تنازل لها عن حقه فيما تركه والده من ميراث، ولم يكن يغضب أحداً من أهله، وكان دائماً يحضهم على البشاشة ومقابلة الناس بالابتسام، وكان يقول: الابتسامه نصف الكرم، وفي أواخر أيامه كان يقول: إن أكثر ما يخيفنى الآن من الموت انزعاج أولادى. كما كان يحسن معاملة خدمه، فيعالجهم إذا مرضوا، ويزيد مكافأتهم إذا قاموا بإجازاتهم، ويتحلل الأسباب ليعطيهم نقوداً، وما قام خادم بواجبه إلا قال له: متشكر، ومن عجز منهم عن الخدمة لكبر سنهم خصص لهم رواتب شهرية، وكان محباً لأصدقائه إلى درجة أنه

الذى يبقى على الزمن هو جانبه الإسلامى، وهو على ضالة حجه سار في الناس مسار الأناشيد، وجرى على كل الألسنة وخاصة قصيدة "نهج البردة" التي عارض بها بردة البوصيرى وبردة البارودى وتفوق عليهما ريم على القاع بين البان والعلم، أحل سفك دمي في الأشهر الحرم، وكانت كذلك قصيدته "إلى عرفات الله" من القصائد التي هزت النفوس، فإذا أضفنا إليها قصيدة "سلوا قلبي غداً سلا وتاباً" لوجدنا أن شوقي قد كون جناحاً إسلامياً عامراً في شعره جرى على ألسنة الناس وأشاع فيهم المفاهيم الإسلامية بأسلوب عربى بليغ. ولقد هزت كلماته في قصيدته: "الرحلة إلى الأندلس" النفوس: "اختلاف النهار والليل ينسى.. انكرا لى الصبا وأيام أنسى". فإذا أضفنا إليها قصيدته في مسجد أيا صوفيا، تكشف تلك العارضة القوية فى المضامين الإسلامية، وهناك قصيدته الرائعة فى رثاء عمر المختار: "ركزوا رفاتك فى الرمال لواء.. تستنهض الوادى صباح مساء"، وكذلك قصيدته التى سجلت سقوط الخلافة التى تهب النفوس، ولطالما استشهد بها الخطباء والكتاب فى هذه الفترة، وما زال شوقي حاضراً فى قضايا كثيرة كقصيدته عن الإسراء: "يتساءلون وأنت أكرم مرسل، بالروح أم بالهيكل الإسراء"، ثم يجيب قائلاً: "بهما سريت رداً على الذين قالوا إن الإسراء بالروح فحسب. لكن أين شوقي الإنسان من شعره الذى يعلى من قيمة القيم والأخلاق التى هى من تعاليم الإسلام وقيمه التى تغنى بها فى شعره؟، وهل كان من الذين يقولون مالا يفعلون؟. قدم لنا سكرتيره الخاص أحمد عبد الوهاب أبو العز

ومن يغتر بالدنيا فإنى.. لبست بها فأبليت الثيابا إن جبل نبنى عن الغفران لى أمل.. فى الله يجعلنى فى خير معتصم هذا التحول الواضح لم يتم على يد مرشد أو رائد، ولكنه المدعى النفسى الكامن فى شوقي نفسه ومقدرته النادرة جداً التى تعود إلى ضمير حى لا يموت وإن غفا أحياناً، فهذا التغيير من لهو الشباب إلى تصوف الشيوخ، ومن أبى نواس إلى البوصيرى، كان واضحاً فى مسانل أخرى كموقفه من تحرير المرأة، فكان يدعو إلى الحجاب فى أول حياته، وكذلك كان قاسم أمين فى أول أمره، يقول شوقي معبراً عن موقفه الأول: حرصى عليك هوى.. ومن يحرز ثميناً يبخل إن طرت عن كفتى.. وقعت على النسور الجهل ثم عندما اقتنع بالعكس ورفق الحجاب قال: هذا رسول الله لم.. يتنص حقوق المؤمنات العلم كان شريعة.. لنسائه المتفقيات رضى التجارة والسياسة.. والشئون الأخريات وقد صار شوقي، رغم نشأته الأرستقراطية، شاعر مصر والإسلام والعرب وحركة الشرق للتححرر من الاستعمار، وبناء الكيان السياسى والاجتماعى والاقتصادى الجديد، وإن رأى الأديب والمفكر أنور الجندى أن الجانب الخالد



يبدع أشعاره - كان يخيل لي أنه مجنون أصيب بغثة "بنوية صرع" .. كان يجلس بيننا، ثم يقفز من مكانه إلى مكان آخر، ويخرج من جيب سترته علبة السجائر ويكتب فيها كلمات، ويعود إلينا أو نلحق به، والعرق يتصبب من جبهته، وعيناه مغروقتان في لمعان أشبه بالدموع، وأنفاسه لاهثة، وكانت هذه الحالة تنتاب شوقي طيلة معاناته في نظم إحدى قصائده، فإذا فرغ من تسجيل خواطره ساعة فساعة، ويوماً بعد يوم، وضع رأسه بين كفيه، وأملى القصيدة كاملة على أحد المقربين إليه، ثم يعود إلى مراجعة الأوراق والقصائد التي سبق أن سجل فيها خواطر القصيدة، فإذا ما أملاه عن ذاكرته لا يكاد يختلف عما سجله في بضعة أيام متفرقة إلا في كلمة أو كلمتين.

وليس أعجب من أنه كان يؤلف مسرحياته الشعرية في وقت واحد، كما يحكى سكرتيره الخاص أحمد عبد الوهاب أبو العز: "كان يملئ علي ما ينظمه في رواياته الأربع: قميبيز، على بك، البخيلة، هدى. وقد كان يشتغل في الأربعة معاً، فيملئني قائلاً: اكتب في رواية قميبيز، ثم إذا انتهى يقول: اكتب في على بك.. الخ، وربما انتهى من الإملاء وقال: انتظر قليلاً فيما يأتي شيء. وقد كان يحدث كثيراً أن يدخل زائر أو زائرون فيحدثهم ويحدثونه حتى إذا انتهت الزيارة التفت إلى وقال: اكتب. فيسرع في الإملاء كأنه لم ينقطع، وكان إذا شغلته أشياء عن قصيدة طلبت منه ولم يتذكرها إلا قبل ميعادها بساعات، ابتسم وطلب أن يتناول صغار ثلاث بيضات يشربها نيئة ثم يبدأ في النظم، فلا تمضي ساعة حتى تكون القصيدة في يد طالبيها، وكنا إذا حضرنا تمثيل إحدى رواياته يطلب مني متابعة أخطائهم لألفتهم إليها، وكثيراً ما كانت تفوتني فيلفتني هو إليها، ثم تزداد دهشتي حينما ترخي الستارة فيملئني أكثر من عشرين بيتاً لإحدى رواياته الأخرى، أو في قصيدة طلبت منه. كنت أدش لحرصه على سماع إلقاء الممثلين، في الوقت الذي هو ينظم الشعر، وسألته مرة في ذلك، فقال: الخطأ ينهني لأنه كالمسار في الأذن".

وعلى كثرة ما ترك شوقي من إنتاج ضمنه ديوان "الشوقيات"، إلا أن كثيراً من إبداعاته ظلت بعيدة عن التداول حتى جمعها من بطون الصحف. محمد صبرى السربوني في كتابه "الشوقيات المجهولة" التي تجاوزت الثلاثة آلاف بيت من الشعر، ومع ذلك ظلت قصائد أخرى مجهولة كقصيدة شوقي التي جعل عنوانها "الله" ونشرها في مجلة "الهمال" عدد مايو ١٩٢٤، وقصيدته "نجد والدينا هائلة" والتي نشرت بخط يده بعد وفاته بمجلة "مجلتى" عدد ١ مارس ١٩٣٥.

القصيدة الأولى: الله

الحق حجته هي الغراء.. هيهات في فلق الصباح مراء  
لا يطلبن الغاية الشعراء.. لو نال كنه جلالك الكبراء  
أبت به "سيناء" و"الإسراء"

الوهم يبعد في الظنون ويقرب.. والعقل فيك مسافر  
متغرب

والفكر يهرب حيث أنت المهرب.. والنفس غايتها إليك  
تقرب

وقصارها في عفوك استنداء  
العقل أنت عقلته وسرحته.. وأحرت فيك دليله وأرحته

أتيته الحجر الأصم ونحته.. والنجم يعبد فوقه أو تحته  
ماتوهم الغبراء والخضراء

"بالهند" هلكي في الهياكل سبج.. و"بمنف" كهان لكنك  
سبحوا

والروم غرقى في المحبة سبج.. "سقراط" مغدو عليه  
مصبح

فيك الزعاف ومنه الاستمراء  
حيران يذهب في السماء ويبحث.. ويثير وجه الأرض

عك ويبحث  
ويلوذ بالأنواء حين تحتث.. ويحس ما هالوا التراب  
وما حثوا

بيد تميت العالمين وراء  
سلك السماء إلى سناثك مرجا.. والأرض نحو كريم

سرك مدرجا  
والوهم فيك إلى الحقيقة مخرجا.. علمته أخذ الأمور  
تدرجا

أصل الحقائق كلها استقراء  
في الدهر إذ هو ناهض لم يشرخ.. وإذ القدامى في حلوم  
الأفرخ

لمح الشقى يد العناية والرخى.. خفضا الجناح لمستغاث  
مصرخ

يشكى البلاء إليه والضراء  
يبدع أشعاره - كان يخيل لي أنه مجنون أصيب بغثة

ولك القضاء غراره ومحزه.. لا شيء في هذا الوجود  
يعزه

ترمي به ركن الثرى فتفرزه.. تتناثر التيجان حين تهزه  
وتمزق الشهباء والخضراء

أما الملائكة الكرام فقبس.. لبسوا الحلى الحسنى وأنت  
الملبس

وعلى التحية والثناء تحبسوا.. خشعوا فلم يجزوهما  
أو يبنسوا

إلا كما يتخافت القراء  
يزنون بين مجنح ومريش.. نزو الفراش وما هم بالطيش

حول الضياء الحاشد المتجيش.. ويجررون من الغلائل  
ما يشي

سر النعيم وتنسج السراء  
عرش على إم العلى منصوصه.. من جوهر الحق المبين

موسى على "سينين" أعشى أرمده.. هو والجبال وأرض  
"مدين" همد

ودنا فخر إلى الجبين محمد.. ومضى سليمان ووجهك  
سرمد

يعنوا له الأملاك والأمراء  
بجلاله أضحي الجمال تعودا.. وغدا الجمال على الجلال

استحوذا  
يأوى إلى سبحاته هذا وذا.. وتطيف أصناف المحامد  
لوذا

ماذا ينال المدح والاطراء  
ببميناك الملك الذي لا يحصر.. خلت الممالك بونه والأعصر

وصحا الملوك من الغرور وأقصروا.. كسرى وهارون  
الرشيد وقبصر

تحت التراب أذلة فقراء

فصوصه  
جبريل وهوبه القديم خصوصه.. ملقى الجناح إزاءه  
مقصوصه

والرسل من أن يدعوه براء  
في منزل فوق الحساب وفرضه.. عال على مسرى الخيال

وقرضه  
في طوله يفنى المكان وعرضه.. ما في سماء الكون أو في  
أرضه

مرداء تشبهه ولا شجرا  
وكانه نون يرا عك خطها.. قد وفيت من حسن صوذك  
قسطها

لما أزال لك ابتداءك نقطها.. أعلاك في السميت الأتم وحطها  
قم فأنت النقطة الزهراء

العلم ثم ضنائفنا وحفاظنا.. والعز ثم حقايقنا وحفاظنا  
مجد أمات بك المكابر غائظنا.. فأناك مبدول المقادة فائظنا

حبران ليس لدائه إبراء  
عن هذه الأنوار يعشى يوشع.. فمن الرئيس وعلمه  
المنتشع

أو من أرسطو والمشاة الخشع.. عصفت بهم ريح البلى  
فتشعوا

ورحت رحاها فيهم الغبراء  
لبسوا النبوغ من العناية مسبغا.. فتخيلوا وزها الذكاء  
النغما

ما من أدل بما وهبت كمن بغى.. والناس ذو رأى وآخر  
ببغا

تحكى وتنقل عندها الآراء  
يارب مدنى من حماك مشنف.. ورهين دون بابك مدنف

حاراً من السر الخفى بنفنف.. سر جالك صاناه فالسين  
فى

يمنى يديه وفى الشمال الرءاء  
بحر المحبة فوق باع الزورق.. والفلك إن تذهب ذراعا  
تخرق

فاجعل شرا عك فيه عينك وافرقت.. كم فى تراقى الموج من  
يد مغرق

قبلت وأخرى حظها الإعرءاء  
كم أية لك لم يجدها المشرك.. غراء بالبصر المجرى تدرى

فلك منوط فى الفضاء محرك.. هل ثار فيه من الثوابت  
مبرك

أم عى سيار به سراء  
ذو الرمح فيه على وداد الأعزل.. والفرقدان عن اللداد  
بمعزل

ويد الغزاة فوق أشرف مغزل.. والبدر كل ملاوة فى  
منزل

حتى تحل شرا كاه العفراء  
النمل ينجد فى المعاش ويتهم.. عن أى رأى أو فؤاد يفهم

لب يضل مكانه المتوهم.. لولا يد تحدو وهاد ملهم  
لم يبد منه الحزم والنكراء

والرزق سر لم ينل مكنونه.. ضفنت به كاف السماح  
ونونه

كذب الحريص وحرصه وفنونه.. ستعوده سوداؤه  
وجنونه

مادامت البيضاء والصفراء  
فرعون لم يخلد ولا أشباهه.. لم يغن عنه من البناء نباهه

ملاً أتاك عتبه وسباهه.. نزلت على حكم التراب جباهه  
وكذا يكون الحكم والإجراء

بالموت أدللت النفوس وبالهوى.. وقهرت من وطئ  
التراب ومن هوى

والنجم لو سرت الحياة به هوى.. وانحط عن أوج  
الهواء إلى الهوى

يبكى عليه الأهل والعشراء  
لم يال داود الصلاة مثنيا.. ويسوع دعما والبشير مثنيا

وتثور الوادى ربي ومثنيا.. فسما الكلم فما توسم ثانيا  
أنى لك الشركاء والنظراء

القصيدة الثانية بخط يده: نجد وأيامنا هائلة  
نجد وأيامنا هائلة.. ونهلك حرصا على الزائلة

ونذهب فى الحقد أو فى الهوى.. مذاهب بعد غد باطلة  
يغيرها دوران الزمان.. ونقلة حالاته الحائلة

وكم فى هوى النفس من أفة.. وفى غضب النفس من  
غائلة

ولولا النظام وسلطانه.. لقطعنا الطريق على السابله  
ولم ينفع الخلق عند الزحام.. ولم تدفع الشيمة الفاضلة

وما أحوج الركب ركب الحياة.. إلى ما تلهى به القافلة  
فراح تقل عليه الهموم.. وتقصر ساعاتها القاتلة

ونغمه راحة فى الفراغ.. على تعب العيشة الشاغلة.  
\* عن جريدة الدستور المصرية

# قصائد شوقي أعظم المدائح في الرسول

فاروق جويده

”

مازلت أعتقد أن قصائد أمير الشعراء أحمد شوقي في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام هي أعظم ما قال الشعراء فيه.. ورغم أن شوقي لم يكن متصوفاً ولا زاهداً، فإنه كتب مجموعة من القصائد تعد من روائع الشعر العربي عبر تاريخه الطويل.. ومن حيث العدد فهي تزيد على سبع قصائد وتزيد أبياتها على مئات الأبيات: ولد الهدي، ونهج البردة، وإلى عرفات الله، وسلوا قلبي..

“

وفي نهج البردة عارض شوقي الإمام البوصيري الصوفي العظيم وقد كتبها وكان يعاني الشلل ورأى الرسول عليه الصلاة والسلام في المنام فألقى عليه برديته الشريفة وأفاق الإمام البوصيري ليجد نفسه وقد ببردة الإمام البوصيري وينشدونها في حلقات الذكر ويكتبونها على جدران المساجد والأضرحة.. وقد عارض البردة مائتا شاعر وكانت نهج البردة لشوقي أشهر المعارضات للبوصيري..

كانت قصائد شوقي وبردته الشهيرة أجمل ما غنت كوكب الشرق أم كلثوم من ألحان رياض السنباطي.. وكان هناك حس صوفي جمع كلمات شوقي مع صوت أم كلثوم والسنباطي.. وفي تصوري أن أم كلثوم كانت تتمتع بحس صوفي وهي تغني للمصطفى عليه الصلاة والسلام، أما السنباطي فكان العاشق المنتصوف المحب للرسول وأل بيته.. وما زالت كلمات شوقي في مدح الرسول أجمل وأعذب ما كتب وما غنت أم كلثوم..

أبا الزهراء قد جاؤت قردى

بمدحك بيد أن لي انتسابا  
وما عرف البلاغة ذو بيان

إذا لم يتخذك له كتابا  
مدحت المالكين فزدت قدرا

وما للمسلمين سواك حصن  
وحين مدحتك اقتدت السحابا

إذا ما الضّر مسهم ونايا  
كثير من الشعراء مدح رسول الإسلام: كعب بن زهير وحسان بن ثابت والإمام الشافعي.. وكتب سيدنا على كرم الله وجهه شعرا جميلا في كتابه الأشهر نهج البلاغة وكانت كل هذه الأشعار رسائل حب.. ولكن شوقي تناول فكر الرسول ومواقفه وحياته من خلال منظور إسلامي واسع.. إنه لم يمدح شخصا فقط ولكنه مدح الشخص والعقيدة والفكر والسلوك.. بل إن شوقي توقف كثيرا عند صفات الرسول وأخلاقه..

كثيرون توقفوا عند حياة الرسول من أكبر كتابنا محمد حسين هيكل باشا في كتابه الأشهر محمد، والعقاد في عبقرية محمد، وخالد محمد خالد في رجال حول الرسول، والخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله للكاتب الأمريكي مايكل هارت، وهناك ما كتب جوته



وتولوستوي وبرنارد شو عن رسولنا الكريم.. هذا بجانب كتابات أخرى لكتاب عرب وأجانب ومسلمين في كل دول العالم.. وكان من حسن حظ أحمد شوقي وسط هذه الكوكبة أن اجتمع صوت عبقرى ولحن خالد لتكون كلمات شوقي أعظم وأجمل ما قيل من الشعر في رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام..

يا من له الأخلاق ما تهوى العلاء  
منها وما يتعشق الكبراء  
لو لم تقم ديناً لقامت وحدها  
ديناً نضياً بنوره الأناء  
زانتك في الخلق العظيم شمائل  
يغرى بهن ويولع الكرماء  
أما الجمال فانت شمس شمائه  
وملاحة الصديق منك آباء  
والحسن من كرم الوجوه وخيره  
ما أوتي القواد والرعماء

لما مرض "أحمد شوقي" مرضه الأخير الذي لقي فيه ربه دخل عليه ذات صباح خادمه الخاص وقال له إن هناك رجلاً ينتظر بالخارج ويقول إن اسمه "محمد الأحمدى الظواهري فهب" أحمد شوقي من فراشه مسرعاً وهو يقول إنه شيخ الأزهر.. وخرج إليه وهو يقول مرحبا بالإمام الأكبر، فلما جلسا قال الشيخ الظواهري لأحمد شوقي.. لقد جئتك مأموراً من رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.. لقد زارنى الليلة الماضية فى المنام وأمرنى أن أخبرك أنه - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - فى انتظارك.. بكى أحمد شوقي من شدة الفرح بهذه البشارة.. ولم يمض على هذا اللقاء إلا أيام يسيرة وانتقل أمير الشعراء أحمد شوقي جوار ربه.. ويقول الشيخ الشعراوي: لا تقولوا شوقى رحمه الله ولكن قولوا شوقى رضى الله عنه، فلم يمدح النبى - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - أحد من الناس بمثل ما مدحه به شوقى.. وقد روى الإمام الشعراوي

قصة أخرى عن شيخ الجامع الأزهر الشيخ الظواهري أنه شاهد الرسول في المنام والصحابي حسان بن ثابت شاعر الرسول يقدم له الشعراء ولكن الرسول قال لحسان وأين أحمد شوقى؟ ومن هنا ذهب الإمام شيخ الأزهر إلى شوقى فى اليوم التالي وكان مريضاً وأخبره بالرؤيا.. سألت الموسيقار محمد عبد الوهاب: هل كان أحمد شوقى متصوفاً؟ فقال كان متديناً باليقين وكان مسلماً يحب دينه ويحب رسوله.. وكان يرى الإسلام ديناً إنسانياً شاملاً بما جاء به من الأخلاق والقدوة، كان شوقى يعترز كثيراً بدينه.. وكان يرى الإسلام دين حضارة وسلوك وقيم رفيعة، ولهذا كانت قصائده فى الرسول من أجمل ما كتب..

فإذا سخوت بلغت بالجوهر المدى

وفعلت ما لا تفعل الأنواء  
وإذا عفوت فقادراً ومقدراً

لا يستهين بعفوك الجهلاء  
وإذا رحمت فانت أم أو أب

هذان فى الدنيا هما الرحماء  
وإذا غضبت فإنما هي غضبة

فى الحق لا ضغن ولا بغضاء  
وإذا رضيت فذاك فى مرضاته

ورضى الكثير تحلم ورياء  
وإذا خطبت فللمنابر هزة

تعرو الندى ولقلوب بكاء  
أقول هذا وأنا أشعر بحزن أن يتطفل مجموعة من

الأدعياء ويتناولون سيرة الرسول بصورة تتنافى مع الفكر والأخلاق وينشرون جهلهم بنوايا مشبوهة..

وأحزن أكثر وأنا أقرأ ما كتب كتاب كبار عن رسول الإسلام وكيف تسللت عصابات مدسوسة تحركها

المصالح لتشوه تاريخ أمة عظيمة.. إن المقارنة بين فكر حقيقى وفكر مشبوه وبين قامات صنعت حضارة وأقزام

شوهوا كل شيء، لا أدري ما هي نهاية هذا الضياع؟ كلما

اختلت الموازين وظهرت الأشباح فى الأفق.. أعود إلى شوقى وأم كلثوم والسنباطي أستعيد يقينى وأسترد

حقيقة لا خلاف عليها فأما الزبد فيذهب جفاء ولن يبقى إلا ما يستحق البقاء..

وما نيل المطالب بالتمنى  
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وما استعصى على قوم منال  
إذا الإقدام كان لهم ركابا

سألت الله فى أبنائى دينى  
فإن تكن الوسيلة لى أجابا

وما للمسلمين سواك حصن  
إذا ما الضّر مسهم ونايا

إن إهانة التاريخ من بعض الحاقدين من أشباه الكتاب وأدعياء الفكر جريمة فى حق القيم والمصادقية والأمانة

وهو لاء ينبغى ألا يسمعون أحد.. إن خالد بن الوليد لم يكن سفاحاً ولكنه قائد فذ من أكبر القادة فى التاريخ وكلنا

يذكر المواجهة التاريخية بينه وبين عمر بن الخطاب حول قضايا الحرية وماذا يقال عن عمر بن الخطاب أكبر دعاة العدل والفضيلة.. هناك مجموعة أصوات شاذة

تضل الناس وتشوه الحقيقة وحسابهم عند الله.. هل بعد ما قال العقاد وخالد محمد خالد والغزالي عن ابن

الخطاب وخالد وأبى بكر يمكن أن نسمع هذا الضلال وهذه الغتن؟ إنها مأساة.. يكفى أن سيدنا عمر رضى الله

عنه قال عن خالد بن الوليد بعد وفاته عجزت النساء أن يلدن مثل خالد..

بعد أن تقرأ ما كتب العقاد وهيكل باشا وخالد محمد خالد والغزالي ونظمى لوقا وما كتبه أمير الشعراء عن سيد

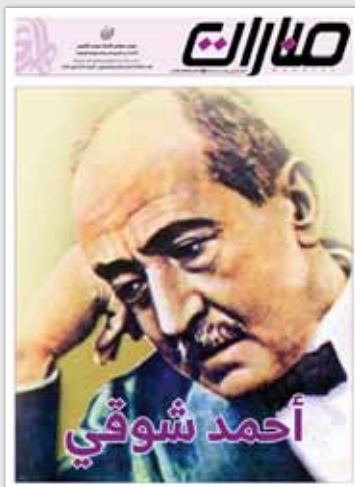
الخلق عليه الصلاة والسلام لا تلوث فكرك ولا تشوه عقلك بما يطلق المغامرون وتجار المصالح والأدعياء عن

رسولنا الكريم وصحابته.. فى أحيان كثيرة تصيب موجات من الجنون بعض

العقول وتصبح أرضاً مهيأة للشطط والدعاوى الكاذبة حتى تصل فى النهاية إلى شيء يشبه الضلال.. وهو لاء علاج لهم إلا فى مستشفيات الأمراض العقلية لأنهم أخطر

على شعوبهم من أى أمراض أخرى.. اللهم أرحم هذه الأمة من بعض أبنائها..

# أحمد شوقي.. قصائد مكتوبة بنور الإيمان



manarat

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير

عزى ليرى

مكي

رئيس التحرير التنفيذي  
علي حسين

هيئة التحرير  
غادة العاملي  
رفعة عبد الرزاق

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة مكي للإعلام  
والثقافة والفنون



أمير الشعراء أحمد شوقي مع محمد عبد الوهاب

يوسف أبو لوز

يأتي في السيرة الذاتية لأحمد شوقي (١٨٦٨ - ١٩٣٢) ونحن نعرف أن تلك الدراسة الكلاسيكية كانت تتمحور على علمين مهمين.. علم اللغة، وعلم القرآن الكريم، أي أن مرجعية ذلك الجيل الذي تربي على (الكتاب)، أو (المطالعة) هو جيل ذو مرجعية دينية إسلامية، وبشأن أحمد شوقي فقد حفظ قدراً من القرآن الكريم، وحصل قدراً من علوم الدين الحنيف. ينحدر أحمد شوقي من أصول تركية كردية شركسية لجهة أبيه وأمه، وشوقي الذي بايعه فطاحل وفحول الشعراء العرب على إمارة الشعر في العام ١٩٢٧ هو إلى جانب كونه علامة شعرية كبرى في تاريخ ديوان العرب، هو أيضاً أدخل المسرح إلى الشعر، شأنه شأن شعراء آخرين مزجوا بين الشعر وفن الخشبة، وهو أيضاً من رموز اللغويين العرب، كما يعرف ذلك كل من شغف بهذه الشخصية الاستثنائية التي ولدت في كنف عائلة ثرية.. وتقول سيرته إن جدته لأمه كانت تعمل وصيفة في قصر الخديوي إسماعيل.

الشيخ محمد السيوني أول من التفت إلى تباشير موهبة أحمد شوقي الشعرية، ومرة ثانية، نعود إلى القول إن الروح الدينية الإسلامية كانت جزءاً ملحوظاً من تركيبة شوقي الثقافية والتربوية، وبالتالي، وكما سنعرف بعد قليل سوف يظهر هذا التكوين الروحي الديني في تراث أمير الشعراء الذي سيعرف العمل السياسي بعد عودته من فرنسا التي ذهب إليها بابتعاث من الخديوي توفيق.

من الضروري أن نشير في هذه الصورة القلمية حول صاحب (الشوقيات) إلى أن كل شاعر عظيم في العالم تنطوي روحه على قدر كبير من شفاافية روحانية نورانية مبعثها الإيمان أو التدين، وكان شوقي من هذه الطينة الإنسانية، وبالطبع لم يكن هذا (الأمير الشعري) متديناً أو إسلامياً، بالمعنى المسيحي، أو النفعي، أو الانتهازي، بل، كان يغسل ذاته بنور الإيمان والإسلام، وهذه الروحانية المولودة من ذاتين.. ذات الشعر، وذات الثقافة الإسلامية المتنورة موجودة عند الكثير من الشعراء العرب، بل، هناك شعراء عالميون أو أجانب قبسوا من نور الدين الإسلامي، بورخيس على سبيل المثال، وهكذا إلى قراءتنا لشخصية أحمد شوقي نجد أنفسنا أننا نقرب بين روح الشاعر، وروح الإنسان، وروح ثقافته ومرجعته التي تعود في بعض تكويناتها إلى تربية إسلامية، أو خلق إسلامي رقيق. عاش أحمد شوقي في مرحلة النهضة التنويرية التي شهدتها مصر في النصف الأول من القرن العشرين، وسيفترب من الثقافة الفرنسية ويتأثر ببعض رموزها مثل (موليير)، لكنه ظل مشدوداً إلى ثقافته العربية الإسلامية، وسوف يعزّز من ثقافته الأجنبية، أو الأوروبية من خلال تجربة نفيه إلى إسبانيا في العام ١٩١٥.

كتاب نادر

في قراءة، أو استعادة أحمد شوقي سوف نعثر على كتاب نادر صادر في القاهرة في العام ١٩٧٢ في إطار ما كان يسمى آنذاك سلسلة مطبوعات الجديد، والكتاب بعنوان "مختارات من شعر أمير الشعراء أحمد شوقي"، وقدم له طه وادي، ويقوم الكتاب على مختارات شعرية، ووثائق مهمة عن شعر شوقي، إضافة إلى دراسة عن الشاعر، وبخصوص الوثائق التي تعود إلى عشرات السنوات (أكثر من نصف قرن) فهي اليوم قد تكون مجهولة تماماً لقراء التراث الشعري الكلاسيكي (عمود الخليل بن أحمد الفراهيدي)، وهي مناسبة كريمة في ظل شهر الصوم والرحمة والبركة أن تلنفت إلى هذه الوثائق بعد مرور هذه السنوات، فقد تنفع تماماً عند إعادة قراءة هذا الشاعر الذي يشكل وحده ظاهرة شعرية عربية نجد مثيلاً لها عند كبار شعراء العربية مثل المتنبي والبحتري وأبي العلاء

المعري وابن الرومي ومحمد مهدي الجواهري، ففي ٧ إبريل/نيسان ١٨٨٨ نشرت له أول قصيدة في "الوقائع المصرية"، وفي العام ١٨٩٠ عينه الخديوي توفيق في ما كان يسمى آنذاك "قلم السكرتارية الخديوية"، وسنعرّف من الوثائق أيضاً إنه كان عضواً في مجلس الشيوخ، كما سنعرّف أن شاعر الهند الكبير طاغور زار أحمد شوقي في العام ١٩٢٦.

سلوا قلبي

نطوف الآن في الفضاء الشعري (الشوقي) ذي البعد الروحاني الديني، فهو كتب قصيدة "سلوا قلبي" في ذكرى المولد النبوي الشريف، وتتألف القصيدة من ٥٤ بيتاً جاءت على البحر الوافر وهي قصيدة حكمية، خشوعية، تعليمية أيضاً، وتحمل أخلاقيات عظيمة هي أساسية في ديننا الإنساني الرحيم.. ومن القصيدة نقتطف هذه الأبيات:

وكل بساط عيش سوف يطوى وإن طال الزمان به وطابا

كان القلب بعدهم غريب إذا عادته ذكرى الأهل ذابا ولا ينبيك عن خلق الليالي كمن فقد الأحبة والصحابا

أخا الدنيا أرى دنياك أفعى تبدل كل أونة إهابا وأن الرقط أيقظ هاجعات وأترع في ظلال السلم نابا ومن عجب تشيب عاشقها وتقنيهم وما برحت كعابا فمن يغتر بالدنيا فإني لبست بها فأبليت الثيابا

لها ضحك القيان إلى غبي ولي ضحك اللبيب إذا تغابى جنبت بروضها وردا وشوكا ونذقت بكأسها شهيداً وصابا فلم أر غير حكم الله حكما ولم أر دون باب الله بابا معجزة شعرية

أما معجزته الشعرية، أو قل معلقته التي جاوزت المعلقات فهي قصيدة (نهج البردة) التي جاءت في ١٩٠ بيتاً من الشعر بنفس شاعر كبير لا يعرف اللهاث، ومن المعروف أن هذه القصائد الملحمية تحتاج إلى صبر، وصنعة، وامتلاك استثنائي للغة، ومواصله إعجازية للفكرة، أو المضمون الذي يقوم عليه النص، وهذه توفرت في (نهج البردة) لأحمد شوقي ومنها:

محمد صفة البراري ورحمته وبغية الله من خلق ومن نسيم وصاحب الحوض يوم الرّسل سائلة متى الورود؟ وجبريل الأمين ظلي سناؤه وسناه الشمس طالعة فالجرم في فلك والضوء في علم

قد أخطأ النجم ما نالت أبوته من سؤد بادخ في مظهر سبم نموا إليه فزادوا في الوري شرفاً ورب أصل لفرع في الفخار نمي حواه في سبجات الظهر قبله نوران قاما مقام الصلْب والرّجم

لما رأه بحيرا قال: نعرفه بما حفظنا من الأسماء والسبم سائل جراً وروح القدس.. هل

علما مصون سر عن الإدراك منكتم كمْ جينة وذهاب شرفت بهما بطحاء مكة في الإصباح والغسم إلى أن يقول:

ونودي: اقرأ تعالى الله قائلها لم تتصل قبل من قبلت له بقم هناك أدن للرحمن فامتلات أسماع مكة من قدسية النغم

القصيدة على البحر البسيط، وهي كما يعرف الجميع معارضة، أو مجازاة شعرية لقصيدة البوصيري، وتكتف في (بردة) شوقي غنائية صافية ساعدت طبيعة البسيط على شفاافية ونقاء هذه اللغة الروحية البيضاء.

الشوقيات المجهولة

في العام ١٩٦١ أصدر د. محمد صبري كتاباً بعنوان "الشوقيات المجهولة"، ومنذ السطور الأولى في الكتاب، يقول صبري "وجدنا لشوقي أكثر من مئة وثلاثين قصيدة أو نحو ٤٠٠ بيت من الشعر، بخلاف نحو ١٠٠٠ بيت من المقطوعات والأبيات المتفرقة، وبخلاف نحو ستين مقالة أو قطعة نثرية، وكل هذا لم يسبق نشره في دواوين شوقي ومؤلفاته التي طبعت في أثناء حياته وبعد مماته..". هذا الكتاب الذي يكشف عن آثار شوقي التي لم يسبق كشفها أو نشرها جاء في جزأين. في الجزء الأول نقرأ هذا النص لشوقي، وهو من تهنئة بإقبال شهر الصوم المبارك:

أفي هذا الشباب تعف نفس ولا يلهي الفتى هذا النعيم ألا يدعوك للذات صفو وأكثرنا على كدر يحوم كأن مكارم الأخلاق روض وأنت الزهر فيه والنسيم فهلا اختار هذا النهج قوم خلال الدين بينهم رسوم وما جهلوا فوائده ما أضاعوا

ولكن ربما نسي العليم تغيرنا فلا ظن جميل بخالقنا ولا قلب سليم كأننا في التلون قوم موسى وأنت بنا كما شقي الكليم

فإن لم ترض أخلاقاً فعذرا لعل ضالنا هذا قديم شوقي شاعر الفخر والثناء والغربة والمجاريات.. ابن النيل المحب لبلده وللوطن العربي نستعيد اليوم ونستعيد في ظلال شعره قصيدة يتذكرها كل عربي تجري في عروقه عروق ويأسمين دمشق ومنها:

سلام من صبا بردى أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق وبي مما رمتك به الليالي جراحات لها في القلب عمق ألت دمشق للإسلام ظنرا ومرضة الأبوة لا تعق

وكل حضارة في الأرض طالت لها من سرحك العلوي عرق إلى أن يقول:

وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق عن جريدة الخليج

# ذكري المولد النبوي



## أحمد شوقي

سَلُوا قَلْبِي غَدَاةَ سَلَا وَنَابَا  
لَعَلَّ عَلَى الْجَمَالِ لَهُ عِتَابَا  
وَيَسْأَلُ فِي الْحَوَادِثِ دُوَ صَوَابِ  
فَهَلْ تَرَكَ الْجَمَالَ لَهُ صَوَابَا؟  
وَكُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ الْقَلْبَ يَوْمًا  
تَوَلَّى الدَّمْعَ عَنْ قَلْبِي الْجَوَابَا  
وَلِي بَيْنَ الضُّلُوعِ دَمٌ وَالْحَمِيمُ  
هُمَا الْوَاهِي الَّذِي تَجَلَّ الشَّبَابَا  
تَسْرَبُ فِي الدَّمُوعِ فَعَلْتُ وَلِي  
وَصَفَّقُ فِي الضُّلُوعِ فَعَلْتُ ثَابَا  
وَلَوْ خُلِقَتْ قُلُوبٌ مِنْ حديدٍ  
لَمَا حَمَلَتْ كَمَا حَمَلَ الْعَدَابَا  
وَأَحْبَابٍ سَقِيَتْ بِهِمْ سَلَفًا  
وَكَانَ الْوَصْلُ مِنْ قِصْرِ حَبَابَا  
وَنَادَمْنَا الشَّبَابَ عَلَى بَسَاطِ  
مِنَ اللَّذَاتِ مُخْتَلِفِ شَرَابَا  
وَكُلُّ بَسَاطٍ عَيْشٍ سَوْفَ يُطَوَّى  
وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَطَابَا  
كَأَنَّ الْقَلْبَ بَعْدَهُمْ غَرِيبٌ  
إِذَا عَادَتْهُ ذِكْرَى الْأَهْلِ ذَابَا  
وَلَا يُنْبِكُ عَنْ خُلُقِ اللَّيَالِي  
كَمَنْ فَقَدَ الْأَحِبَّةَ وَالصَّحَابَا  
أَخَا الدُّنْيَا أَرَى دُنْيَاكَ أَفْعَى  
نَبْدُلُ كُلَّ أَوْنَةٍ إِهَابَا  
وَأَنْ الرُّقْطَ أَيْقِظُ هَاجِعَاتِ  
وَأَتْرَعُ فِي ظِلَالِ السَّلْمِ نَابَا  
وَمِنْ عَجَبِ تَشْيِبِ عَاشِقِيهَا  
وَتَغْفِينِهِمْ وَمَا بَرِحَتْ كَعَابَا  
فَمَنْ يَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا فَإِنِّي  
لِبِسْتُ بِهَا فَأَبْلَيْتُ الْخِيَابَا  
لَهَا ضَحِكُ الْقِيَانِ إِلَى غَيْبِي  
وَلِي ضِحْكُ اللَّبِيبِ إِذَا تَغَابَى  
جَنَيْتُ بَرُوضَهَا وَرَدًّا وَشَوْكًا  
وَذَقْتُ بِكَاسِهَا شَهْدًا وَصَابَا  
فَلَمْ أَرِ غَيْرَ حُكْمِ اللَّهِ حُكْمًا  
وَلَمْ أَرِ دُونَ بَابِ اللَّهِ بَابَا  
وَلَا عَظُمْتُ فِي الْأَشْيَاءِ إِلَّا  
صَحِيحِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ اللَّبَابَا  
وَلَا كَرُمْتُ إِلَّا وَجْهَهُ حُرٌّ  
يُقَلِّدُ قَوْمَهُ الْمِنَنَ الرَّعَابَا  
وَلَمْ أَرِ مِثْلَ جَمْعِ الْمَالِ نَاءً  
وَلَا مِثْلَ الْبُخِيلِ بِهِ مُصَابَا  
فَلَا تَقْنَلِكَ شَهْوَتُهُ وَزَنَهَا  
كَمَا تَزِنُ الطَّعَامَ أَوْ الشَّرَابَا

وَحُذِّ لِبَنِيكَ وَالْأَيَّامِ نُحْرًا  
وَأَعْطِ اللَّهَ حِصَّتَهُ اِحْتِسَابَا  
فَلَوْ طَالَعَتْ أَحْدَاثَ اللَّيَالِي  
وَجَدْتَ الْفَقْرَ أَقْرَبَهَا انْتِيَابَا  
وَأَنَّ السَّبْرَ خَيْرٌ فِي حَيَاةِ  
وَأَبْقَى بَعْدَ صَاحِبِهِ نَوَابَا  
وَأَنَّ الشَّرَّ يَصُدُّعُ فَاعْلِيهِ  
وَلَمْ أَرِ خَيْرًا بِالشَّرِّ أَبَا  
فَرَفَقًا بِالْبَيْنِينَ إِذَا اللَّيَالِي  
عَلَى الْأَعْقَابِ أَوْعَتِ الْعِقَابَا  
وَلَمْ يَتَقَلَّدُوا شُكْرَ الْيَتَامَى  
وَلَا انْزَعُوا الدُّعَاءَ الْمُسْتَجَابَا  
عَجِبْتُ لِمُعْشَرٍ صَلَّوْا وَصَامُوا  
ظَوَاهِرَ خَشْيَةٍ وَتَقَى كِذَابَا  
وَتَلْفِيهِمْ حِيَالِ الْمَالِ صُمًا  
إِذَا دَاعَى الرِّزْقَ بِهِمْ أَهَابَا  
لَقَدْ كَتَمُوا نَصِيبَ اللَّهِ مِنْهُ  
كَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُحْصِ النَّصَابَا  
وَمَنْ يَعْدِلُ بِحُبِّ اللَّهِ شَيْئًا  
كَحُبِّ الْمَالِ ضَلَّ هَوَى وَخَابَا  
أَرَادَ اللَّهُ بِالْفُقَرَاءِ بَرًّا  
وَبِالْأَيْتَامِ حُبًّا وَارْتِيَابَا  
فَرُبُّ صَغِيرٍ قَوْمٍ عِلْمُوهُ سَمًا  
وَخَمَى الْمُسَوِّمَةَ الْعِرَابَا  
وَكَانَ لِقَوْمِهِ نَفْعًا وَقَفْرًا  
وَلَوْ تَرَكَوهُ كَانَ أَدَى وَعَابَا  
فَعَلِمَ مَا اسْتَطَعَتْ لَعَلَّ جَيْلًا  
سَيَأْتِي يُحَدِّثُ الْعَجَبَ الْعَجَابَا  
وَلَا تُرْهِقُ شَبَابَ الْحَيِّ يَأْسًا  
فِيَأْنِ الْيَأْسِ يَخْتَرِمُ الشَّبَابَا  
يُرِيدُ الْخَالِقَ الرُّزْقَ اشْتِرَاكَ  
وَإِنْ يَكُ خَصَّ أَقْوَامًا وَصَابَى  
فَمَا حَرَمَ الْمُجِدِّجَنَى يَدِيهِ  
وَلَا نَسَى الشَّقِيَّ وَلَا الْمُصَابَا  
وَلَوْلَا الْبُخْلُ لَمْ يَهْلِكْ فَرِيقٌ  
عَلَى الْأَقْدَارِ تَلْقَاهُمْ غَضَابَا  
تَعَبْتُ بِأَهْلِهِ لَوْمًا وَقَبْلِي  
دَعَاةَ الْبِرِّ قَدْ سَمِعُوا الْخَطَابَا  
وَلَوْ أَنِّي خَطَبْتُ عَلَى جَمَادِ  
فَجَرَّتْ بِهِ الْيَنَابِيعُ الْعِدَابَا  
أَلَمْ تَرِ لِلْهَوَاءِ جَرَى فَافْضِي  
إِلَى الْأَكْوَاحِ وَأَخْتَرِقِ الْقِيَابَا  
وَأَنَّ الشَّمْسَ فِي الْأَفَاقِ تَغْشَى  
جَمِي كَسْرَى كَمَا تَغْشَى الْيُنَابَا  
وَأَنَّ الْمَاءَ تَرَوَى الْأُسْدَ مِنْهُ  
وَيُشْفِي مِنْ تَلْعُلْعُهَا الْكِلَابَا  
وَسَوَى اللَّهِ بَيْنَكُمْ الْمَنَابَا  
وَوَسَدَكُمْ مَعَ الرُّسُلِ التُّرَابَا  
وَأَرْسَلَ عَائِلًا مِنْكُمْ يَتِيمًا  
دَنَا مِنْ ذِي الْجَلَالِ فَكَانَ قَابَا

نَسِي السَّبْرَ بَيْنَهُ سَبِيلًا  
وَسَنَّ خِلَالَهُ وَهَدَى الشُّعَابَا  
تَفَرَّقَ بَعْدَ عَيْسَى النَّاسِ فِيهِ  
فَلَمَّا جَاءَ كَانَ لَهُمْ مَنَابَا  
وَشَافِي النَّفْسِ مِنْ نَزَعَاتِ شَرِّ  
كَشَافٍ مِنْ طَبَائِعِهَا الذُّنَابَا  
وَكَانَ بَيَانُهُ لِلْهَدَى سَبِيلًا  
وَكَانَتْ حَيَلُهُ لِلْحَقِّ غَابَا  
وَعَلَّمَنَا بِنَاءَ الْمَجْدِ حَتَّى  
أَخَذْنَا إِمْرَةَ الْأَرْضِ اغْتِصَابَا  
وَمَا نَيْلُ الْمَطَالِبِ بِالْتَمَنِّي  
وَلَيْكِنْ تُوَخِّدُ الدُّنْيَا غِلَابَا  
وَمَا اسْتَعَصَى عَلَى قَوْمٍ مَنَالٌ  
إِذَا الْإِقْدَامُ كَانَ لَهُمْ رِكَابَا  
...  
تَجَلَّى مَوْلِدُ الْهَادِي وَعَمَّتْ  
بِشَائِرُهُ السُّبُودِي وَالْقِصَابَا  
وَأَسَدَتْ لِلْبِرِّيَّةِ بِنْتُ وَهْبٍ يَدًا  
بِضِيَاءِ طَوْقَتِ الرَّقَابَا  
لَقَدْ وَضَعْتَهُ وَهَاجًا مُنِيرًا  
كَمَا تَلِدُ السَّمَوَاتُ الشُّهَابَا  
فَقَامَ عَلَى سَمَاءِ الْبَيْتِ نُورًا  
بُضِيءُ جِبَالِ مَكَّةَ وَالنَّقَابَا  
وَضَاعَتْ يَنْزِرُ الْفَيْحَاءِ مَسَا  
وَفَاحَ السَّقَاعُ أَرْجَاءَ وَطَابَا  
أَبَا الزُّهْرَاءِ قَدْ جَاوَزَتْ قَدْرِي  
بِمَدْحِكَ بَيْدَ أَنْ لِي انْتِسَابَا  
فَمَا عَرَفَ السِّبْلَاةَ دُوَ بَيَانِ  
إِذَا لَمْ يَتَّخِذْكَ لَهُ كِتَابَا  
مَدَحَتْ الْمَالِكِينَ فَرَزَتْ قَدْرًا  
فَحِينَ مَدَحْتِكَ أَقْنَدَتْ السُّحَابَا  
سَأَلْتُ اللَّهَ فِي أَبْنَاءِ دِينِي  
فِيَأْنِ تَكُنِ الْوَسِيلَةَ لِي أَجَابَا  
وَمَا لِلْمُسْلِمِينَ سِوَاكَ حِصْنٌ  
إِذَا مَا الضُّرُّ مَسَّهُمْ وَنَابَا  
كَأَنَّ النُّحْسَ حِينَ جَرَى عَلَيْهِمْ  
أَطَارَ بِكُلِّ مَمْلَكَةٍ غُرَابَا  
وَلَوْ حَفِظُوا سَبِيلَكَ كَانَ نُورًا  
وَكَانَ مِنَ النُّحُوسِ لَهُمْ حِجَابَا  
بَنَيْتَ لَهُمْ مِنَ الْأَخْلَاقِ رُكْنًا  
فَخَانُوا الرُّكْنَ فَانْهَدَمَ اضْطِرَابَا  
وَكَانَ جَنَابُهُمْ فِيهَا مَهِيْبًا  
وَالْأَخْلَاقُ أَجْدَرُ أَنْ تُهَابَا  
فَلَوْلَاهَا لَسَاوَى اللَّيْثُ نَذْبًا  
وَسَاوَى الصَّارِمِ الْمَاضِي قِرَابَا  
فَإِنْ قَرِنْتَ مَكَارِمَهَا بِعِلْمِ  
تَدَلَّتِ الْعُلَا بِهِمَا صِعَابَا  
وَفِي هَذَا الزَّمَانِ مَسِيحٌ عِلْمِ  
يَرُدُّ عَلَى بَنِي الْأُمَمِ الشَّبَابَا